



الأسطورة الشخصية بين الحلم والواقع في رواية الخيميائي للروائي باولو كويلو
The Personal Myth between Dream and Reality
in Paulo Coelho's the Alchemist

أمال طالب (*)

جامعة أحمد بن بلة، وهران 1، الجزائر

talebamal52@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/06/06

تاريخ القبول: 2025/09/24

تاريخ الإيداع: 2025/08/03

الملخص:

تسعى هذه الدراسة الأكاديمية إلى تحليل رواية الخيميائي للروائي العالمي الكبير باولو كويلو من منظور يركز على هيمنة الرؤية الأسطورية في تشكيل البناء السردى لهذا العمل. إذ استطاع الكاتب أن يقدم تجربة إبداعية تمكنت من الخوض في عناصر الأسطورة الغربية والعربية، مستخدماً لغة جمالية رفيعة مليئة بالدلالات والرموز الإيحائية. كما تمكن من تضمين الرواية رؤيته الفلسفية التي تعكس اعتقاده بأن العالم يُنظّم نفسه عبر التحولات الأسطورية والظواهر الكونية بحيث تكون الرؤى الشخصية والأحلام والطموحات هي المحرك الأساسي لبلوغ الأهداف في هذه الحياة، وليس المعايير الدينية أو الاقتصادية والاجتماعية. وفقاً لهذه الرؤية، فإنَّ البَحْثَ عن أسطورتنا الشخصية، من خلال مفهوم "الأسطورة الشخصية" الذي وظفه الكاتب، يعدّ الهدف الرئيسي الذي تسعى الرواية إلى تحقيقه.

الكلمات الدالة:

الخيميائي؛ باولو كويلو؛ الرؤية الأسطورية؛ الأسطورة الشخصية؛ الدلالات والرموز.

Abstract:

This study analyzes Paulo Coelho's The Alchemist by emphasizing the predominance of mythological vision in shaping its narrative structure. Coelho synthesizes elements from both Western and Arab mythologies, employing a refined symbolic language that imbues the text with multiple layers of connotation and evocative imagery. The narrative is underpinned by a philosophical framework that

(*) المؤلف المرسل: أمال طالب: talebamal52@gmail.com



posits the world as being governed by mythological transformations and cosmic phenomena. In this context, personal visions, dreams, and ambitions are foregrounded as the primary forces guiding the achievement of one's existential objectives, rather than traditional religious, economic, or social paradigms. Thus, the quest for one's "personal myth" emerges as the central purpose of the novel.

Key Words:

The Alchemist; Paulo Coelho; mythological vision; personal myth; connotations and symbols.

1. مقدمة:

تعتبر الأسطورة واحدة من أقدم أشكال التعبير التي لجأ لها الإنسان عبر التاريخ، إذ استعان بها لفهم الظواهر الطبيعية وتفسير العالم المحيط به. حيث شكلت الأساطير آنذاك جسراً يربط بين الواقع وما وراءه، حاملة بين سطورها رؤى عميقة ومعاني تنعكس على الفكر والحياة "فهي تقوم من الثقافة البدائية بوظيفة لا غنى عنها، فتعبر عن العقيدة وتزكّيها وتُثَقِّنْها، وتصون الأخلاق وتدعمها، وتُبرهن على كفاءة الطقوس، وتنظم قواعد عملية لهداية الإنسان"¹. فالأساطير ليست مجرد روايات خيالية، بل تعد انعكاساً لرؤية عميقة للوجود تحمل في طياتها قيما اجتماعية، ودينية، وفلسفية.

أمّا في العصر الحديث، ومع تطور الأدب واتساع آفاقه، أصبحت الأساطير أحد أهمّ منابع الإلهام التي استندت إليها العديد من الأعمال الأدبية، حيث استعان بها العديد من الكتّاب والروائيين لاستكشاف أعماق النفس الإنسانية وعلاقتها بالعالم والمصير. بل وتطورت إلى مفهوم أوسع يعبر عن الرحلة الداخلية للإنسان نحو تحقيق ذاته. ومن أبرز الأمثلة على هذا التحول رواية "الخيميائي" للكاتب البرازيلي باولو كويلو، حيث يستند كويلو إلى مفهوم "الأسطورة الشخصية" كإطار يعكس من خلاله العلاقة بين الأحلام والواقع، وبين الفرد والكون. وهنا، تتخطى الأسطورة حدود الخيال لتصبح رمزاً يسعى الإنسان من خلاله نحو هدفه الأعلى، ممّا يمنح للحياة معنى أعمق وقيمة جوهرية.

إنّ رواية "الخيميائي" L'Alchimiste للروائي البرازيلي الكبير "باولو كويلو" Paulo Coelho (1947- إلى يومنا هذا) والتي صدرت في عام 1988 عن دار بلانتا Planeta، تتجاوز كونها مجرد عمل أدبي لتصبح رحلة فلسفية تتعمق في البحث عن معنى الحياة والغاية من وجود الإنسان. إذ تتناول الرواية قصة شاب يُدعى سانتياغو، الراعي الذي ينطلق من موطنه في



مغامرة بحثًا عن كنزٍ رآه في حلمه، لكنه يكتشف في نهاية المطاف أن الكنز الحقيقي يكمن في رحلة التعرف على الذات والسعي لتحقيق ما يُطلق عليه كويلو بـ "الأسطورة الشخصية". هذا المفهوم يعكس جوهر الرواية، إذ يرمز إلى الغاية الأسمى التي ينبغي لكل فرد السعي من أجل الوصول إليها، وكيف يمكن للعقبات والتحديات أن تكون جزءًا أساسيًا من تحقيق الأسطورة الشخصية لكل فرد. وعليه تم الشروع في دراستنا انطلاقًا من إشكالية تتمحور حول استكشاف العلاقة بين المثالية (الحلم) والواقعية، فإلى أي مدى يمكن اعتبار الأسطورة الشخصية في رواية الخيميائي حلما مثاليا يتعالى على الواقع، وإلى أي درجة هي مسعى وجودي قابل للتحقيق والتجسيد في ظل قيود الحياة المادية والاجتماعية؟

وعبر هذا المنطلق، سنسعى إلى تسليط الضوء حول مفهوم الأسطورة الشخصية، وكيفية توظيف هذا المفهوم كإطار روائي وفلسفي لاستكشاف العلاقة الجدلية بين الحلم والواقع. كما نهدف إلى إبراز دوره كمرآة عاكسة لسعي الإنسان الدائم نحو تحقيق ذاته وفهم معنى وجوده. وعليه فقد اقتضت الضرورة المنهجية لهذه الدراسة إتباع المنهج الوصفي وتقنية التحليل في قراءة ومعاينة حضور الأسطورة الشخصية في رواية الخيميائي وما تحمله من رموز ودلالات من شأنها أن تُسهم في تعميق الفهم الفلسفي والأدبي للمتلقي. كما ارتأينا عبر هذا النمط من المعالجة إلى ضرورة العمل على ضبط وتحديد ماهية هذا المفهوم (الأسطورة الشخصية) في الدراسات الأدبية والنقدية.

2. الأسطورة الشخصية: المفهوم والرؤيا:

لطالما كان مصطلح "الأسطورة" حاضرا في التراثين العربي والغربي، حيث أستخدم كأداة لتفسير الظواهر وفهم العوالم الظاهرة منها والغامضة، سواء في الحكايات الشعبية أو الأعمال الأدبية والفلسفية. وقد ورد لفظ "الأسطورة" في معجم لسان العرب لابن منظور (630هـ-711هـ) تحت جذر سَطَرَ: السَّطَرُ والسَّطَرُ: الصَّفُّ مِنَ الْكِتَابِ وَالشَّجَرِ وَالنَّخْلِ وَنَحْوِهَا؛ وَالْجَمْعُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ أَسْطَرٌّ وَأَسْطَارٌ وَأَسَاطِيرُ: عَنِ اللَّحْيَانِي، وَسُطُورٌ. وَقَالَ الرَّجَّاجُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. مَعْنَاهُ سَطَرُهُ الْأَوَّلُونَ، وَوَاحِدُ الْأَسَاطِيرِ أَسْطُورَةٌ، كَمَا قَالُوا أَخْذُوهُ وَأَحَادِيثَ.

والأَسَاطِيرُ: الْأَبَاطِيلُ. وَالْأَسَاطِيرُ: أَحَادِيثُ لَا نِظَامَ لَهَا، وَاحِدُهَا إِسْطَارٌ وَإِسْطَارَةٌ، بِالْكَسْرِ، وَأَسْطِيرٌ وَأُسْطِيرَةٌ وَأُسْطُورٌ وَأُسْطُورَةٌ، بِالضَّمِّ. وَقَالَ قَوْمٌ: أَسَاطِيرُ جَمْعُ أَسْطَارٍ وَأَسْطَارٌ جَمْعُ سَطَرٍ.² وبذلك تغدو الأساطير مرادفا للأباطيل والخرافات والأكاذيب.



وقد اعتقد بعض الباحثين أنّ كلمة الأسطورة مقتبسة من اللغة اليونانية، وفي هذا يقول "وديع بشور" (1930-2015) : "وكلمة أسطورة العربية مقتبسة من كلمة استوريا (historia) اليونانية وتعني حكاية أو قصة، إلا أنّ كلمة أسطورة تعني حكاية غير حقيقية أو على عكس الحقيقة، بينما الكلمة ذاتها historia تعني تاريخ"³.

كما جاء في قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر "أنّ الأسطورة Mythe حكاية أو رواية شعبية، أو إنسانية متصلة بحياة إحدى الأمم. تهدف إلى التعبير عن بطولة أو قيمة ذات أثر هام في نفوس النّاس أو الأمة"⁴. أمّا من الناحية الاصطلاحية، فقد اتّسم مصطلح الأسطورة بالغموض نظرا لتعدد المفاهيم والدلالات عبر العصور. إذ تباينت مفاهيمه مع تطور الفكر الإنساني في مجالات علمية ومعرفية متعددة كالفلسفة، الأنثروبولوجيا، التاريخ والأدب وغيرها. حيث قدمت كل منها تصوراتها الخاصة للأساطير، ممّا ساهم في إثراء هذا المصطلح ومنحه عمقا متزايدا. ودليل ذلك عندما حاول القديس أوغستين (354-430) أن يفصح عن ماهيتها فقال: "إنني أعرف جيّدا ما هي، بشرط ألا يسألني أحد عنها، ولكن إذا ما سُئلتُ، وأردتُ الجواب، فسوف يعتريني التلكؤ"⁵. ومن أبرز الباحثين الذين تناولوا مفهوم الأسطورة دراسة وبحثا نجد فراس السّواح وذلك من خلال مؤلفه "الأسطورة والمعنى" إذ يعرفها قائلا: "إنّ الأسطورة هي حكاية مقدّسة، ذات مضمون عميق يشفّ عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان"⁶.

وفي السّياق نفسه، يرى الباحث والفيلسوف ميرسيا إيليا بآن "الميتوس (Mythos) وهي لدى الإغريق تعني حكاية، والأسطورة تروي قصّة مقدّسة وحادثا وقع في زمن البدء سواء أكان ما أتى إلى الوجود هو الكون أو جزء منه، ولا يروي الميتوس إلّا ما حدث فعلا ويفسّر ما هو كائن وموجود فعلا ، لذلك فهو قصّة حقيقية، كما أنّ الأساطير تنبعث من حاجة دينية عميقة وتوق أخلاقي وانضباطات وتحديات تظهر في صبغة اجتماعية ومتطلبات عملية"⁷. وبذلك تغدو الأسطورة قصة مقدّسة تُسرّد أحداثا وقعت في زمن البدايات، وتهدف إلى تقديم تفسير للعالم والوجود. حيث تنبع هذه القصص من احتياجات دينية وأخلاقية، كما تعكس التحديات الاجتماعية والعملية التي تواجهها المجتمعات. لينظر إليها على أنّها حقيقية نظرا لما تقدمه من تفسيرات تتعلق بما هو كائن وموجود. فهي تحمل طابعا واقعيا بالنسبة للأفراد الذين يؤمنون بها، لأنها توفر لهم فهما عميقا للعالم والوجود. وهو ما يؤكّده كارل غوستاف يونغ ، وذلك حينما اعتبر أنّ الأسطورة جزء من عملية التفرد أو



تحقيق الذات فهي تنير جوانب النفس الإنسانية، وأن أي مجتمع، سواء كان بدائياً أو متحضراً، يفقد أساطيره يواجه كارثة أخلاقية تضاهي فقدان الإنسان لجوهر روحه.⁸

فالأسطورة إذن تنبثق عن معتقد ديني، وتمثل امتداداً طبيعياً ومتكاملاً له. إذ تسلّل تأثيرها إلى مختلف جوانب الأديان، حتى غدت قصص الأنبياء والقديسين وأماكن الأضرحة والمعجزات مشبعة بها. بل وربما لا نغالي إذا اعتبرنا أنّ الأسطورة قد تجاوزت حدود هذا العالم الديني لتسري إلى مختلف جوانب الحياة الدنيوية والمجتمعات الحديثة وتلامس العامة من الأدباء والروائيين وعلماء الأنثروبولوجيا والاجتماع والسياسيين أيضاً.

ومع ذلك يظل الأدب الملائم للأسطورة، حيث تعامل معها منذ البداية كأداة من أدوات الإبداعية وأحد العناصر الجمالية والفنية التي تنتسب إلى عالم الخيال. فهو يجد فيها ذلك التحويل الممتع الذي يمنح النص طرافته وسحره دون أن يُحمّلها القدسية أو المعاني المطلقة التي تستمدّها من الأديان، وفي مقابل ذلك تقوم هذه الأساطير بتزويد الإنسان برموز تدفع بروحه إلى الأمام⁹، فأسطورة البطل مثلاً تعدّ الأسطورة الأكثر شيوعاً وانتشاراً في العالم. يمكن العثور عليها في الأساطير الكلاسيكية للإغريق والرومان، وفي العصور الوسطى، وفي منطقة الشرق الأوسط، وحتى لدى القبائل البدائية في العصر الحالي. كما تظهر هذه الأسطورة في أحلام الإنسان.. لها سحرها المثير الواضح كما أنّ لها أهمية سيكولوجية لدى الفرد الذي يسعى لاكتشاف شخصيته وتحقيقها وكذلك لدى المجتمع الذي يطمح بدوره لتحقيق ذاته الجماعية¹⁰. فالأساطير بأشكالها المختلفة توفر للإنسان إطاراً رمزياً وفكرياً يساعده على فهم حياته وتجاربها، ويدفعه نحو الارتقاء الروحي والتطور الشخصي. كما تقدّم نماذج للأبطال والتحديات التي يمكن للأشخاص أن يستلهموا منها ما يعزز من إصرارهم وقدرتهم على مواجهة التحديات وتخطي الصعوبات وفتح آفاق جديدة لتحقيق الأسطورة الشخصية لكل فرد. فالبطل فيها يشكل صورة مثالية عن الإنسان وعن ما هو إنساني، مما يثير الرغبة في السامع إلى تحقيق هذه الصورة المثالية¹¹، كذلك الأحلام؛ فالحلم هو أسطورة شخصية¹² على حدّ تعبير جوزيف كامبل. إذ يعبر عن العالم الداخلي للفرد بكل ما يحمله من رغبات ومخاوف وصراعات، وبالتالي فهو يعبر عن الأسطورة الشخصية الخاصة بالفرد. وهو ما يتماشى مع الطرح الذي قدّمه كارل غوستاف يونغ في دراسته لمفهوم اللاوعي الفردي الذي يحتوي على ذكريات ورغبات مكبوتة خاصة بالفرد، واللاوعي الجمعي الذي يحتوي رموزاً وأساطير مشتركة بين جميع البشر. كما يرتبط ذلك بعملية التفرد النفسي، التي



يسعى الفرد من خلالها إلى تحقيق التوازن بين الجوانب الواعية وغير الواعية لشخصيته. ومن هنا، تغدو الأسطورة الشخصية بمثابة الجسر الرابط بين هذه الأبعاد المختلفة، ممثلةً رحلة الإنسان نحو فهم ذاته وتحقيق كينونته الكاملة.

3. الأسطورة الشخصية بين الحلم والواقع في رواية الخيميائي:

قد تثير المفاهيم السابقة للأسطورة وعلاقتها بالغاية الشخصية للفرد تساؤلات قد تقودنا إلى مقارنة مفهوم الأسطورة الشخصية كما طرحه كويلو في روايته، والذي يعبر عن فكرة أنّ لكل شخص أسطوره الفريدة وحلمه الخاص الذي يعيش من أجله ويبدل قصار ما في وسعه من أجل تحقيقه. فالرغبة الملحة والعزيمة دائما ما تكونان دافعا قويا لتجاوز العقبات وبلوغ الأهداف. كانت هذه الحكمة الأساس الذي استندت إليه رواية "الخيميائي"، وتتجلى بوضوح من خلال شخصية سانتياغو، بطل الرواية، الذي يخوض رحلته لاكتشاف أسطوره الخاصة. هذه الرحلة تقوده في النهاية إلى كنز يحمل معاني مادية وروحية في آن واحد.

وقد لجأ كويلو في تحقيقه لفكرة الأسطورة الشخصية في روايته بشكل واضح وكبير إلى توظيف الرموز والأحداث. هذه الرموز لم تكن مجرد أدوات سردية فحسب، بل كانت أيضًا وسيلة لنقل رسائل فلسفية وروحية ذات أبعاد عميقة، مما أضفى عمقًا على المعاني وجعل القصة تتسم بقابلية أكبر للتفسير والتأويل على مستويات متعددة. وفيما يلي أبرز الرموز والأحداث الرئيسية التي ساهمت في تشكيل هذه الأسطورة الشخصية:

1.3 أسطورة نرسييس لأوسكار وايلد:

تعتبر قصة نرسييس (نرجس) التي افتتح بها كويلو روايته رمزا ذو دلالة عميقة يرتبط ارتباطا وثيقا بفكرة الأسطورة الشخصية، إذ يقول السارد: "كان الخيميائي يعرف أسطورة نرسييس، ذلك الفتى الجميل الذي كان يذهب كل يوم، ليتأمل جمال وجهه في مياه إحدى البحيرات، ومات غرقا. وفي المكان الذي سقط فيه، نبتت زهرة سميت نرسييس (نرجس)..."¹³ لكن الرواية تُضيف لمسة مختلفة للقصة: تقول أن البحيرة كانت تبكي على فقدان نرسييس، وعندما سُئلت عن سبب حزنها، أجابت: "أبكي من أجل نرسييس، ولكني لم ألاحظ، قط، أنّ نرسييس كان جميلا. أبكي من أجل نرسييس، لأنني كنت، في كلّ مرة ينحني فيها على ضفافي، أرى انعكاس جمالي الخاص في عمق عينيه. فقال الخيميائي: يا لها من حكاية رائعة."¹⁴ هذه الأسطورة ترمز إلى العلاقة المتبادلة بين الفرد والعالم من حوله، وتشير إلى أنّ كلّ شخص يعكس شيئا في العالم، ويعكس العالم بدوره شيئا من الشخص. أمّا في



سياق الأسطورة الشخصية، تُسلط القصة الضوء على أنّ تحقيق الذات والسعي وراء الحلم الشخصي لا يُعدّ مجرد فعل أنانيّ، بل هو أيضا مساهمة في البيئة المحيطة بنا. فعندما يسير الشخص على خطى أسطوره الشخصية، فإنه لا يكتشف ذاته فحسب، بل يترك أثرا إيجابيا يساهم في تناغم الكون. وعبر هذه الأسطورة أيضا، يُشجّع البطل سانتياغو من قبّل الخيميائيّ على متابعة أسطوره الشخصية، والمتمثلة في السعي وراء كنزه الخاص. فمن خلال رحلته ومغامرته، سيدرك أنّ العالم يعكس ما في داخله، وأنّ عملية تحقيق الحلم الشخصي هي جزء من التوافق مع قوانين الكون وفهم مكانته فيه.

2.3 الحلم:

كما لجأ كويلو في روايته إلى الرؤيا الحالمة لتحفيز تحقيق الأسطورة الشخصية. فمن خلال الحلم الذي تكرر لديه، بدأ سانتياغو رحلته نحو اكتشاف ذاته وتحقيق مصيره. إذ قال للمرأة الفجرية العجوز: "لقد راودني الحلم ذاته، مرتين متتاليتين. وجدت نفسي مع نعاي في أحد المراعي، وإذا بطفل يظهر ويلعب مع الحيوانات. لا أحبّ أن يأتي أحد ليلهو مع نعاي لأنها تشعر ببعض الخوف من الناس الذين لا تعرفهم... استمر الطفل يلهو مع النعاج فترة من الوقت. وفجأة أمسك بيدي وقادني حتى أهرامات مصر... عند ذلك، وأمام أهرامات مصر، قال الطفل لي، إذا جئت إلى هنا ستجد كنزا مخبوءا".¹⁵ وقد كان تفسير العجوز الفجرية والعجوز (الملك سالم) لهذا الحلم بمثابة الشرارة التي أشعلت روح الحماس بداخل البطل، حيث أطلعاه على أنّ الحلم يكشف عن وجود كنز مدفون قرب أهرامات مصر. وهو ما دفع بـ سانتياغو إلى اتخاذ قرار جريء بمغادرة موطنه والشروع في رحلة مليئة بالمغامرات والتحديات، وخلال هذه المغامرة، تعلّم سانتياغو الإصغاء إلى قلبه وفهم إشارات الكون من حوله، ما قاده في نهاية المطاف إلى تحقيق أسطوره الشخصية. وهكذا، يصبح الحلم أكثر من مجرد رؤية ليلية، بل يتحوّل إلى دافع قوي للتغيير والنمو الداخلي. هذا الأمر يعكس رؤية كويلو بأن الإنسان يمتلك القدرة على تحقيق أحلامه إذا آمن بها واتبع نداء قلبه بإصرار.

إنّ الحلم في نظر كويلو لا يقتصر فقط على تحقيق هدف ملموس، بل هو رحلة غنية بالتحديات والدروس التي تساهم في تطورنا الروحي والفكري. هذه التحديات تمثل جزءاً لا يتجزأ من رحلتنا، ومن المهم أن نتعلم منها بدلاً من أن ندعها تعيق تقدمنا. وفقط من يدركون هذه الحقيقة يستمرون في السعي، وهم الذين يتمكنون في النهاية من تحقيق أحلامهم، ليصبحوا أكثر حكمة وقوة. على حدّ قول الخيميائي: "إنّ روح العالم، قبل أن تُحقّق حلماً، تريد أن



تُقيّم دائما ما تعلّمناه أثناء مسيرتنا. وإن كانت تتصرّف على هذا النحو، فليس بدافع أذيتنا، بل لتتعلّم، مع أحلامنا في آن، الاستفادة من الدروس التي نتعلّمها في طريقها إلى تحقيق ذلك الحلم، وتلك هي اللحظة التي يتخلّى فيها معظم الناس عن حلمهم.¹⁶

3.3 ملكي صادق (ملك سالم):

تجسّد شخصية العجوز ملكي صادق دورا محوريا في تشكيل مفهوم الأسطورة الشخصية لدى البطل سانتياغو، وذلك من خلال حواراته العميقة ونصائحه الحكيمية. والتي سنقوم بذكر البعض منها. فعندما يلتقي البطل سانتياغو بملكي صادق للمرة الأولى، يشرح له هذا الأخير مفهوم الأسطورة الشخصية بشكل واضح وملهم، في نحو قوله: "الأسطورة الشخصية هي ما تمنيت، باستمرار، أن تفعله. إنّ كلّاً منا يعرف، في مطلع شبابه، ما هي أسطوره الشخصية. وفي تلك المرحلة من الحياة، كل شيء واضح وممكن، ولا نخاف أن نحلم بكلّ ما نحبّ أن نفعله في الحياة. بيد أنّ قوّة غامضة تُحاول مع مرور الوقت أن تُثبت أنّ من المستحيل تحقيق أسطورتنا الشخصية."¹⁷ هذا الشرح المؤثر يمنح سانتياغو فهماً عميقاً بأن لكلّ شخص هدفاً وحلمًا لا بدّ من السعي وراءه. وهو ما أوقد شرارة المغامرة في نفس البطل من أجل الخوض في رحلته بحثاً عن تحقيق هذا المعنى العميق في حياته.

كما يستعين الشيخ ملكي صادق بقصة رمزية لتحفيز البطل سانتياغو على متابعة سعيه نحو تحقيق أسطوره الشخصية وعدم الخوف من التغيير والمغامرة، مسلطاً في ذلك الضوء على أهمية الإيمان بالأحلام حتى وإن بدت غير واقعية أو بعيدة المنال. إذ أنه اضطر في الأسبوع الماضي، أن يظهر لمنقّب في هيئة حجر. فقد كان الرجل قد تخلى عن كل شيء خلال خمس سنوات من البحث المضني عن الزمرد دون أن يحقق أي نجاح. وأمام اليأس، فكر بالتوقف عن البحث والاستسلام، غير مدرك أنه كان على بُعد خطوة واحدة فقط من العثور على الزمردة المنشودة فقد كان ينقصه حجر وحيد لتحقيق حلمه. وبما أنّ المنقّب كان يسير وفق أسطوره الشخصية، قرر الشيخ أن يتدخل. فتحول إلى حجر، لكن تحت وطأة الغضب، قام المنقّب برمي الحجر بعيداً. فإذا به يصطدم بحجر آخر، ينشطر، لتظهر منه أجمل زمردة يمكن أن يراها العالم.¹⁸

ولتشجيعه على التغلب على مخاوفه واتخاذ قرار السعي وراء تحقيق أسطوره الشخصية، قدّم الشيخ ملكي صادق لسانتياغو حجرين سحريين يُدعيان أوريم وتوميم. ثم قال: لسانتاغو: "خُذهما، إِيّهما تُدعيان أوريم وتوميم. السّوداء تعني نعم، والبيضاء تعني



لا. وعندما تعجز عن اكتشاف مواضع الإشارات تُساعدانك. ولكن ليكن سؤالك موضوعيا باستمرار. حاول إجمالاً، أن تتخذ قراراتك بنفسك.¹⁹ هذه الأدوات تجسّد أهمية الثقة بالحدس والإيمان بالإرشاد الداخلي، وهو ما يشكل درساً أساسياً وجوهرياً في رحلة البطل سانتياغو.

هذه المقاطع السردية تُظهر بجلاء كيف ساهم ملكي صادق في تشكيل وعي سانتياغو وإلهامه للشروع في رحلته وتحقيق أسطوره الشخصية، وذلك من خلال حكمته وقصصه الرمزية إضافة إلى أدواته السحرية، ما جعله يمثل المرشد الروحي لسانتياغو.

4.3 الخيميائي:

يجسّد الخيميائي في الرواية شخصية غامضة للغاية، إذ لا تقدّم القصة أية تفاصيل حول اسمه وعمره، أو حتى ملامحه الجسدية. الوصف الوحيد الذي خصّ به الكاتب هذه الشخصية مذكور عند لقائه أول مرة مع سانتياغو: "رجل على صهوة جواده، يرتدي ثياباً سوداء ويعتمر عمامة، ويعلو وجهه لثام لا تبدو منه سوى عينيه، ويجثم على كتف اليسرى صقر بدا كأنه رسول الصحراء، لكنه يتمتع بحضور لا مثيل له لدى أيّ شخص في العالم."²⁰ كما يصفه الانجليزي في موضع آخر قائلاً: "إنّه يعيش في واحة الفيّوم، ويروي الناس أنّه بلغ المئتي سنة، وأنه قادر على تحويل أيّ معدن من المعادن ذهباً."²¹ فالخيميائي إذن هو ذلك الشخص المتخصص في الخيمياء والذي باستطاعته أن يحوّل المعادن الرخيصة إلى ذهب قيّم، بالإضافة إلى قدرته على تفسير العلامات. إلّا أنّه هنا يجسّد المعلم الروحي الذي يساعد سانتياغو في فهم أسرار الحياة والكون وتحقيق حلمه بعيداً عن الخيمياء التقليدية. فهو يرمز إلى التحول الداخلي والوصول إلى الحكمة العليا، وذلك من حواراته وتوجيهاته. يظهر ذلك جلياً من خلال قوله: "عندما نحلم بشيء، فإنّ الكون بأسره يُطاوعنا على تحقيق حلمنا."²² فهم الفتى ما رمى إليه محدّثه. فهذا شخص آخر وُجِدَ على طريقه، لكي يقوده حتى يبلغ أسطوره الشخصية."²³ عبر هذا المقطع، يؤكّد الخيميائي ل سانتياغو أنّ لكلّ إنسان أسطوره الشخصية، وهي الغاية التي خلقه الله ليحققها. كما يشجعه على التمسك بحلمه وعدم التخلي عنه، حتى إن واجهته العديد من الصعاب والعقبات في هذه الرحلة.

لم تتوقف توجيهات الخيميائي ل سانتياغو عند هذا الحدّ، بل علّمه أيضاً أنّ القلب هو الدليل الأهم في رحلته. فالقلب يمتلك القدرة على معرفة الحقيقة كما يمكنه من التواصل مع العالم إذا أحسن الإصغاء إليه. ممّا يمكنه في النهاية من تحقيق أسطوره وهدفه، في نحو



قوله: "لا تنسى أنه حيث يكون قلبك يكون كنزك، ينبغي أن تعثر على كنزك، وإلا يغدو كل ما اكتشفته في رحلتك بلا معنى."²⁴ وقوله أيضا: "أنصت إلى قلبك، فهو يعرف كل شيء، لأنه يأتي من روح العالم، وسوف يعود إليها يوما ما."²⁵
فبفضل هذه الدروس والتوجيهات تمكن سانتياغو في النهاية من تحقيق حلمه وأسطورته الشخصية وفهم معنى حياته.

5.3 الصحراء:

تعتبر الصحراء في رواية الخيميائي أكثر من مجرد مكان جغرافي؛ فهي تمثل رمزا عميقا يحمل العديد من الدلالات الروحية والفلسفية التي تسهم في تشكيل الأسطورة الشخصية للشخصيات (الخيميائي) وخاصة البطل سانتياغو. فالصحراء هنا ليست فضاء ماديا يسير فيه البطل بحثا عن كنزه، إنما هي معلم عظيم ومرآة عاكسة لرحلة البطل الداخلية نحو اكتشاف ذاته وتحقيق مصيره. ويظهر ذلك بجلاء من خلال قول البطل سانتياغو: "لقد تعلمت من أغنام، وتعلمت من بلوريات، وأستطيع، أيضا، أن أتعلم من الصحراء، فهي تبدو لي أكثر قدما، وأبلغ حكمة."²⁶ وهو ما يؤكد الخيميائي في موضع آخر بقوله: "الصحراء معلم يفوق كل معلم."²⁷ كما أنها تجسد ساحة التحدي ومختبر التجارب. إذ تواجه الشخصيات خلال رحلتها بالصحراء ظروفًا قاسية تتطلب الصبر والثقة بالنفس والإيمان بالقدر. هذه الظروف القاسية تعمل على تنقية الروح وتهذيبها وتحريرها من الشوائب المادية، مما يتيح للبطل التركيز على ما هو جوهري بحياته.

ففي صحراء الرواية، يتعلم سانتياغو كذلك الإصغاء إلى قلبه وأن يفهم لغة العالم، ويتواصل مع الكون من حوله "سار في الصحراء ساعتين ونصف الساعة، وهو يحاول أن يصغي بانتباه إلى ما يقول قلبه الذي سيكشف له المكان الصحيح الذي يوجد فيه كنزه المخبوء"²⁸، كما أنه "ظلّ بقية عصر اليوم الثاني، يتأمل الصحراء، أصغى إلى قلبه، وأصغت الصحراء إلى الخوف الذي يسكنه. كان كلاهما يتكلمان لغة واحدة."²⁹

وبهذا أصبحت الصحراء معلما حكيما لسانتياغو، إذ تلقى من خلالها دروسا في الصبر، والثقة، والتعمق في فهم ذاته، والتغلب على المخاوف. فهي تمثل الوعاء الحاوي وحاضنة الأسطورة الشخصية، التي تشكل الفكرة المحورية في الرواية، وتعبّر عن المصير الفردي الذي ينبغي لكل إنسان السعي لتحقيقه من أجل الوصول إلى ذاته الحقيقية.

4. بين الحلم والواقع في الخيميائي: جدلية الالتحام والاصطدام:



في رواية الخيميائي، لا ينزلق الواقع كظلّ ثقيل على أحلام الفتى سانتياغو فحسب، إنما ينبثق من أعماق الرمال كندبة مضيئة تحمل دلالات التحول. فبعد تعرضه للسرقة في طنجة وفقدانه لجميع أمواله وضرورة عمله بعد ذلك في متجر البلورات لتأمين لقمة العيش وجمع المال الكافي من أجل العودة إلى إسبانيا أو متابعة رحلته. هذه الحادثة تجسد صدمة الواقع التي تحطم الأحلام المثالية فجأة. كما أنّها تمثل أولى محطات التطهير التي تجرد سانتياغو من أوهام السهولة، وتجعله يواجه التحديات الحقيقية. فالواقع هنا يفرض على البطل بصفة خاصة والإنسان بصفة عامة خياراى التعايش أو الاستسلام والانسحاب.

فالعَمَل اليوميّ، والحبّ المفاجئ في الواحة (فاطمة)؛ واحة الواقع، وحتى الحرب القبلية التي تهدد بابتلاع أحلامه، كل هذه الأحداث والاصطدامات ما هي إلا فصول من كتاب الكون الذي لا يُقرأ بالهروب إلى المثالية، إنما بالغوص في وُخْل الواقع كي تستخرج منه الجوهرة. فالواقع هنا ليس حاجزا، بل جسرا؛ العمل الشاق يعلم سانتياغو الصبر، والصبراء تعلمه الشجاعة، والحب يعلمه الموازنة بين أحلام القلب وحكمة العقل. وكأن كويلو يهمس لنا بأن الحلم الذي لا يُقاسم الواقع دمه، يبقى طيفا فقط. ففي النهاية، يعود البطل سانتياغو إلى نقطة البداية ليجد كنزه، لا لأنّ الواقع خدعه، بل لأنّ الواقع بمرارته وصعوباته كان الخيميائي الحقيقي والمعلم الأكبر الذي حوّل رصاص تجاربه إلى ذهب الحكمة. وكأنّ الرواية تقول لنا بصريح العبارة: لا أسطورة شخصية دون مواجهة للواقع، ولا حلم يتحقق دون المرور عبر اختبارات الحياة ومحاكمها الشاقة. فالأسطورة الشخصية في نظر كويلو لا تكمن في المكان البعيد، بل في النظر بعين جديدة إلى ما هو قريب.

5. خاتمة:

انتهت الدراسة عبر هذا القصد من المعالجة التصورية والمقاربة التحليلية للأسطورة الشخصية بين الحلم والواقع في رواية الخيميائي للروائي باولو كويلو إلى تحديد جملة من النتائج نجملها عبر الآتي:

- الأسطورة الشخصية تمثل الجسر الذي يصل بين الحلم والواقع. فقد انطلق البطل سانتياغو في رحلته من حلم بسيط، لكنه استطاع من خلال مواجهة الصعوبات واكتساب الدروس والخبرات أن يحوّل هذا الحلم إلى حقيقة ملموسة.
- يمثل الحلم القوة المحركة والدافع الأساسي للإنسان من أجل السعي نحو تحقيق أسطوره الشخصية.



– يمثل الواقع المحكمة التي تُصقل بها الأحلام والساحة التي يختبر فيها الإنسان قوة إيمانه وإرادته، فيكتسب فيها خبراته ودروسه في الحياة. ففي صحراء قاسية الظروف، وجد سانتياغو الساحة المثلى ليتعلم أبرز الدروس الروحية والعملية والتي شكلت جزءاً أساسياً من رحلته.

– تحقيق الأسطورة الشخصية يستلزم خلق توازن دقيق بين الإيمان الراسخ بالحلم والسعي لتحقيقه، وبين التعامل الواقعي والعملية مع تحديات وظروف الحياة.

– تمثل الأسطورة الشخصية في رواية الخيميائي رحلة ذات اتجاهين: أحدهما خارجي يسعى لتحقيق الأهداف والطموحات، والآخر داخلي يهدف إلى اكتشاف الذات وفهمها بعمق.

– الإيمان بالعلامات والإشارات التي يوجهها الكون للأفراد يُعدّ جانباً جوهرياً وضرورياً في سبيل تحقيق الأسطورة الشخصية.

– تمثل الأسطورة الشخصية في جوهريها تحقيقاً للذات وفهمًا أعمق لمعنى الحياة، وهذا بالضبط ما يسعى كويلو إلى إيصاله للقارئ.

5. قائمة المراجع:

- 1- باولو كويلو، الخيميائي، تر: جواد صيداوي، تد: روجي طعمة، ط6، (بيروت، لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2008).
- 2- جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ج4، ط3، (بيروت، لبنان: دار صادر، 1414هـ).
- 3- جوزيف كامبل، البطل بألف وجه، تر: حسن صقر، ط1، (دمشق: دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2003).
- 4- سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، ط1، (القاهرة، مصر: دار الأفق العربية، 2001).
- 5- فراس السّوّاح، الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، ط2، (دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2001).
- 6- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، الأسطورة توثيق حضاري، ط1، (دمشق، سوريا: دار كيوان للطباعة والنشر، 2009).
- 7- كارل غوستاف يونغ، الإنسان ورموزه سيكولوجيا العقل الباطن، تر: عبد الكريم ناصيف، ط1، (دمشق: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2012).
- 8- مصطفى زماش، تجليات الأسطورة في الأدب العربي القديم "الأسطورة الحيوانية" أنودجا، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، الجزائر، مج4، ع8، ديسمبر 2016.



6. هوامش:

- ¹ - مصطفى زماش، تجليات الأسطورة في الأدب العربي القديم "الأسطورة الحيوانية" أنودجا، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، الجزائر، مج4، ع8، ديسمبر 2016، ص3.
- ² - ينظر، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ، مادة سَطَرَ، ص364.
- ³ - قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، المرجع السابق، ص21.
- ⁴ - سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص90.
- ⁵ - قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، المرجع السابق، ص19.
- ⁶ - فراس السواح، الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 2001، ص14.
- ⁷ - قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، المرجع السابق، ص23.
- ⁸ - المرجع نفسه، ص24.
- ⁹ - جوزيف كامبل، البطل بألف وجه، تر: حسن صقر، دار الكلمة للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2003، ص24.
- ¹⁰ - كارل غوستاف يونغ، الإنسان ورموزه سيكولوجيا العقل الباطن، تر: عبد الكريم ناصيف، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 2012، ص136.
- ¹¹ - فراس السواح، المرجع السابق، ص16.
- ¹² - جوزيف كامبل، المرجع السابق، ص31.
- ¹³ - باولو كويلو، الخيميائي، تر: جواد صيداوي، تد: روجي طعمة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط16، 2008، ص13.
- ¹⁴ - المرجع نفسه، ص14.
- ¹⁵ - المرجع نفسه، ص29، 30.
- ¹⁶ - المرجع نفسه، ص151.
- ¹⁷ - المرجع نفسه، ص37.
- ¹⁸ - ينظر، المرجع نفسه، ص39.
- ¹⁹ - المرجع نفسه، ص45.
- ²⁰ - المرجع نفسه، ص127.
- ²¹ - المرجع نفسه، ص83.
- ²² - المرجع نفسه، ص133.
- ²³ - المرجع نفسه، ص133.
- ²⁴ - المرجع نفسه، ص134.



-
- ²⁵ - المرجع نفسه، ص146.
²⁶ - المرجع نفسه، ص91.
²⁷ - المرجع نفسه، ص137.
²⁸ - المرجع نفسه، ص178.
²⁹ - المرجع نفسه، ص162.